مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٣)

دوافع الوجود الفينيقى فى ليبيا

إعداد

الباحث/ الناجى منصور محمد الحربى

لدرجة الدكتوراة بقسم التاريخ القديم

السنة ٢٥ العدد (٩٩) أكتوبر ٢٠١٤م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

Scanned with CamScanner

دوافع الوجود الفينيقي في ليبيا

الباحث/ الناجى منصور محمد الحربى
لدرجة الدكتوراة بقسم التاريخ القديم

ملخص البحث

تركزت اهتمامات الباحثين التاريخيين على دراسة التاريخ الليبي القديم خاصة ما يتعلق بتأثر هذه المنطقة وتأثيرها في الأمم القديمة، دونما الالتفات إلى بعض النقاط التي لا يزال يكتنفها الغموض ، ولا تزال مبهمة وتحتاج إلى معالجة بالبحث والتفكير والمقارنة، ومنها : الليبيون والوجود الفينيقي و الإغريقي في شمال أفريقيا .

فهل كان الفينيقيون ينظرون إلى السكان الأصليين في الشمال الأفريقي على أنهم أبناء جلدتهم؟ أم ينظرون إليهم على أنهم وسيلة من الوسائل التي تروِّج لتجارتهم وتشكل سوقًا من أسواقهم المنتشرة على شواطئ البحر المتوسط؟ ثم كيف كان شكل العلاقة معهم؟ هل كانت عدائية أو ودية؟ وما الأسباب التي دعت إلى وجودهم في مناطق شمال أفريقيا قرابة ثمانية قرون؟

البعد المكانى والزمانى للدراسة : –

قبل دراسة الدوافع التي جعلت الفينيقيين يصلون إلى ليبيا ، وكذلك الدوافع التي أدَّت بالإغريق إلى استعمار ليبيا ، ووضع الليبيِّين في ظل الوجودين الفينيقي والإغريقي ، لا بدَّ من التعرُّف على البعد المكاني والزماني لما يسمَّى ليبيا آنذاك ، ذلك أنَّ المدلولات الجغرافية لأسماء الأقاليم في القديم لم تكن واضحة المعالم ، وذات حدود كما هي معروفة في وقتنا الحاضر ؛ بل كان كل إقليم – في الغالب – يُسمَّى باسم المجموعة السكانيَّة التي تُقيم فيه ، إذْ إنَّ رقعة الإقليم تتسع وتتقلَّص تبعًا لتحرُّكات هذه المجموعة ، سواءً أكان ذلك في حالة الحرب ، أم سعيًا وراء الماء والعيش بأمان.

وفي هذا الإطار يُحدِّد هيرودوتس ليبيا بالمنطقة الممتدَّة من غرب وادي النيل إلى المحيط الأطلسي ، وبذلك فإنَّها عنده تعني إحدى القارات الثلاث من قارات العالم

Scanned with CamScanner

القديم ، وأحيانًا يقصد بها المنطقة التي سيطر عليها الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد ، وفي أحيانٍ أخرى يقصد بها معظم شمال أفريقيا عدا مصر[١].

وعلى الرغم من أنَّ الكتاب القدامى قد حدَّدوا منطقة نفوذ الفينيقيين الذين عرفوا فيما بعد بالقرطاجيين ، من مذابح الأخوين فيلاني[٢] شرقًا ، إلى تاكاباي قابس ترينينوس شط الجريد غربًا[٣]، إلا أنَّ البعض منهم تحدَّث عنها بالرؤية التي تخدم مادته العلميَّة ، فنجد بلينيوس[٤] Plinius يُشير إلى بعض الأماكن الواقعة بين المنطقتين مثل رأس بوريون ، دون تحديد دقيق ، فيما تحدَّث سترابون[٥] عن قلعة يوفرانتاس الواقعة إلى الغرب من مذابح الأخوين فيلاني ، واعتبرها الحد الفاصل بين مناطق نفوذ القرطاجيين والبطالمة ، فيما أشار سكيلاكس Scylax[٦] إلى الحدود الفاصلة بين الطرفين في مجمل حديثه عن خليج السرتيين ، واعتبر أراضي شعب المكاي ضمن تلك المنطقة ، لكنّ سالوستوس Sallustus[٧] كتب بتوسع عن الحدود، وذكر سهلاً رمليًّا خاليًا من الأنهار والجبال ، ورأى أنَّه الحد الفاصل بين تخوم الطرفين.

---

١. هيرودوتس : الكتاب الرابع ، ترجمة : محمد المبروك الذويب ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥ – ٢٨.

٢. مذابح الأخوين فيلاني تُعرف حالياً بالرأس العالي ، وهو المكان الذي شهد الصراع بين الإغريق والفينيقيين – كما سيأتي الحديث عنه في الفصل الخامس - بسبب اقتسام البلاد ، ، إذ تذكر المصادر أنّ الطرفين سئما الحرب ، فاتفقا على تحديد يوم معيّن يخرج فيه عداءان من قرطاجة ، ومثلهما من كيريني ، وحيثما يلتقون يكون الحد الفاصل بين الطرفين ، واستطاع مندوبا قرطاجة قطع مسافة أكبر عند التقائهما بمندوبي كيريني ، ربّما بسبب خلو المناطق التي تقع غرب كيريني من الصخور والأحراش ، أو بسبب الرياح التي تُعرقل المسافرين نحو الغرب ، وتحجب رؤيتهم ، ما أدى إلى عدم القدرة على الاستمرار في الجري ، وعندما التقى المندوبون ، اتهم المندوبان الإغريقيان مندوبي قرطاجة بالغش والخداع ، وعند ذلك عرض مندوبا كيريني على مندوبي قرطاجة إمّا أن يُدفنا حيين في ذات المكان ، أو يُسمح لهما بالتقدم قدر ما يرغبان ، ويدُفنا حيين هناك ، وفضّل الأخان التضحية بنفسيهما ، ودفنا حيين في سبيل قرطاجة ، فأقام لهما القرطاجيون المذابح في ذلك المكان ... أنظر : Sallustus, Bellum Jugurthinum, Loeb Classical Library, Lxxix,

٣. أحمد محمد انديشة : التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٥

4.Plinius Sicundus, Natural History, V, iv, 28.

5.Strabo, Geography, XVII, II , 20

6.Scylax Cargendemsis, Periplus, I, 108

7.Sallustus, Bellum Iugurthinum, Lxxix

Scanned with CamScanner

أمَّا الحدود الغربيَّة للمدن الثلاث ، التي تعتبر ضمن المدن التي أسَّسها القرطاجيُّون ، فمن الصعوبة بمكان تحديدها بدقة ، لتداخل تبعيَّة تلك المنطقة ضمن أملاك الدولة القرطاجيَّة ، ولكنَّ المُرجح أنَّ شط الجريد وحصن تاملينوتاكاباي تُمثل الحد الغربي لها[1] .

ومن الناحية الجنوبية لم يكن هناك حد معين للمنطقة لسببين ، أولهما سيطرة الجرامنتس- وهم السكان الأصليُّون للجنوب الليبي -على أغلب أجزاء الصحراء ، نظرًا لتحرُّكاتهم التي لا تخضع لأية قيود، وثانيهما أنَّ القرطاجيِّين لم يكن لهم عمق استعماري داخل الصحراء ، بل كانت سيطرتهم تتركز على السواحل ، لطبيعة حياتهم التي تعتمد كثيرًا على البحر بالدرجة الأولى.

ويظلُّ البحر المتوسط هو الحد الشمالي لمناطق وجود الفينيقيين ، وكان يُمثِّل حلقةَ الوصل بين سكَّان المنطقة والشعوب التي عرفت ارتياده.

وعلى الرغم من وجود إشارات في النقوش الفينيقية - عُثر عليها في بعض مناطق طرابلس وتونس - إلى اسم ليبيا ، إلاَّ أنَّه في الغالب كان يُقصد بها السكان وليس الإقليم الجغرافي[2] ، وفي بعض الأحيان كان يُطلق على هذه المنطقة اسم الأمبوريا وتعني في الفينيقية المراكز التجارية أو السوق[3] ، وأحيانًا يطلق عليها اسم تريبولس ، ، حيث تضم المدن الثلاث لبكى ، وأويات ، وصبراتة [4]، غير أنَّ حدود هذه المنطقة المنطقة غير واضحة المعالم ، لتداخلها وتنوُّع القبائل التي خضعت لقرطاجة ، عاصمة الفينيقيِّين على سواحل البحر المتوسط الجنوبية ، وعدم ثبات أماكن إقامتها بسبب الظروف المناخية ، وهذا ما يفسِّر أن الليبيِّين الذين انضووا تحت السيطرة القرطاجية لعامل أو لآخر ، لم يكونوا من المنطقة الغربيَّة فحسب ، بل كانوا أيضًا من الشرق الليبيِّ ، ذلك أنَّ سكان الشمال الأفريقي بصفةٍ عامَّةٍ يشكِّلون وحدة بشرية

---

[1] . محمد عبد الهادي شعيرة : "*ليبيا الاسم ومدلولاته التاريخيّة* " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بنغازي ، العدد الأول ، ١٩٥٨ ، ص ١٥.

[2] . محمد على عيسى : "*اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين على مسرح الأحداث* " ، مجلة تراث الشعب ، السنة ١٩ ، العدد ١ ، ٢ ، ١٤٢٩ ، ص : ٨٩ ومابعدها

[3] .Warmington. B.H., "The Semitic Micrations To Libya and North Africa" , Libya Antique, Printed In France, Unesco, 1986, P-167

[4] .Polybius ,III, 23,2.

Scanned with CamScanner

متجانسة ، وتجمع بينهم خصائص اجتماعيَّة عدَّة ، وربَّما لغويَّة أيضًا ، ويقطنون منطقة تكاد تكون واحدة ، تمتدُّ من حدود مصر الغربيَّة إلى المحيط الأطلسي ، ويقطنون أنَّ المساحات القابلة للسكن مبعثرة ، وقد وصفها سترابون[1] بأنَّها تُشبه النقاط التي على جلد الفهد.

أمَّا القسم الشرقي من ليبيا ، فإن هيرودوتس – كما أسلفنا– يرى امتداد ليبيا يبدأ من حيث تنتهي مصر الغربية ، وقد حدَّد ساحلها الشمالي بالأراضي التي تأتي بعد بحيرة مريوط إلى رأس سولوجوس، أي رأس سباتل جنوبي طنجة على المحيط الأطلسي[2]، وهذه المساحة هي رقعة جغرافية مختلفة البيئات ، تلقت مؤثرات حضارية وافدة بإطلالتها على البحر المتوسط بسواحل طويلة وانفتاح جنوبه على إفريقيا الاستوائية التي تدفقت منها هجرات وموجات بشرية متنوعة ، فكان الشمال الإفريقي كما لو أنه مركز للإشعاع الحضاري، ويمكن القول إن الإغريق سيطروا على الأراضي الليبية التي تقع إلى الشرق من طبرق بقليل خيرونيسوس اخيليدس إلى خليج سرت عند مذابح الأخوين فيلاني ، وكما أن اسم ليبيا لم يكن ظاهرًا إلا عندما أطلقه الرومان على المناطق الخاضعة لسيطرتهم عقب تدمير مدينة قرطاجة سنة ١٤٦ق.م وخلعوا على المنطقة اسم ولاية إفريقيا المشتق على ما يبدو من اسم إحدى قبائل السكان الأصليِّين التي تدعى إفري، فيما أطلقوا اسم المدن الخمس على إقليم كيرينايكا بعد إحكام سيطرتهم عليه ولم يكن اسم ليبيا معروفًا خلال الفتح الإسلامي لكن اتضحت معالم الاسم بالحدود الحالية، بعد مجيء الاستعمار الإيطالي عام ١٩١١ميلادي [3].

أما عن البُعد الزماني لهذه الدراسة في الجزء الغربي من ليبيا فيتحَّدد بالربع الأخير من القرن التاسع ق.م ، أي منذ أن بدأت السفن الفينيقيَّة تتجه نحو الشواطئ الليبية، وأخذت تؤسِّس المراكز التجاريَّة ، وربما تكون العلاقات قد بدأت على الأرجح

---

[1] .Ibid.

5. Ibid.

١- عبداللطيف محمود البرغوثي : التاريخ القديم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١، ص ٢٢

Scanned with CamScanner

قبل معركة هيميرا الشهيرة سنة ٤٨٠ ق.م ، واستمرت حتى نهاية قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م على أيدي الرومان ، وأيلولة المنطقة بالكامل إلى حكمهم.

أمّا في الجزء الشرقي فإنه يبدأ من مجيء الإغريق وحتى عام ٩٦ ق.م السنة التي انتقلت فيه ملكية الإقليم الشرقي إلى الشعب الروماني واكتفاء مجلس الشيوخ بوضع يده على الأراضي الملكية ، وفرض ضريبة على نبات السلفيوم[١]، بناءً على وصية بطليموس أبيون، إلى أن ضُمت كيرينايكا إلى كريت بشكل رسمي وأصبحتا ولاية رومانية واحدة [٢].

من هُمُ الفينيقيون ؟

قبل أن ندرس أسباب مجيء الفينيقيين إلى شمالي أفريقيا بصفة عامة ، وإلى ليبيا بصفة خاصّة؛ لزامًا علينا أن نعرف من هم ؟ فالفينيقيون قومٌ ساميون قذفت بهم الجزيرة العربية حوالى سنة منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد ، فاتجهوا شمالاً إلى بلاد الشام[٣]، لكنَّ هيرودوتس[٤] يذكر غير ذلك، فيقول : إنهّم نزحوا من بحر ارتيريا، وبذلك يعتبر الخليج العربي موطنهم الأصلي[٥] ؛ فيما يؤكد سترابون[٦] على أنَّ معابد سكان الخليج العربي تُشبه إلى حدٍّ كبير معابد الفينيقيين ، وهذا يُرجِّح قدومهم من الخليج العربي.

1.Strabo, Geography, II, 33

2.Ibid.

٣. عبد اللطيف محمد البرغوتي : المرجعالسابق، ص ٢٢٩

4. Herodotus ,I, 1.

٥. محمود الصديق أبو حامد :" مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس ، ليبيا في التاريخ ، منشورات جامعة بنغازي ، ١٩٦٨ ، ص ١١٨

6. Strabo ,I,11-35 , Xvi, iv,-17

Scanned with CamScanner

وربَّما تزامن وجودهم مع خروج الهجرة الساميَّة الكبرى ، ذلك أنه بمرور الزمن انقسم المهاجرون إلى جماعتين، عُرفت الأولى بالعموريين كان استقرارهم بالمناطق الداخلية ؛ أواسط حوض الفرات، والثانية عُرفت باسم الكنعانيين[1] ؛ وهي تسمية أطلقها اليونانيون ، وكان يعنون بها قبيلة كبيرة من المرجح أنّها ساميَّة، نزحت ضمن الهجرة السامية الكبرى ، وتأثرت ثقافتهم تأثرًا كبيرًا بحضارة مصر ؛ ويُفسر البعض أصل كلمة كنعان بأنها مشتقة من أصل ساميٍّ (خنع ، قنع ، كنع) إشارة إلى الضعة ، ومنها مجازًا إلى الأرض المنخفضة لسكناهم على الساحل ؛ لكنَّ البعض يري أنَّ كلمة كنعان غير ساميَّة ، بل إنها مشتقة من كلمة هندو – أوروبية في اللغة الحرية

---

[1]. الكنعانيون : تعددت الآراء حول تسميتهم ، ففي الأكادية يرى بعض المؤرخين أنه ربما كان الاسم الأكادي (كناخي أو كناخني - Kinakhnالذي أطلقه البابليون عليهم ، والذي ظهر في رسائل تل العمارنة في مصر ، هو أصل هذه التسمية والذي يعني اللون الأحمر الأرجواني ، أما في المصرية فقد ورد اسم (بي كنعان Pekanan عن المصريين للدلالة على المناطق الجنوبية والغربية من سوريا . كذلك استعمل المصريون منذ عصر الدولة كلمة (فنخو) للدلالة على شعب من شعوب الشام ، وربما استعمل الإغريق هذا اللفظ وحوروه إلى "فويفكس " (Phoivikes) للدلالة على " فينيقيا" ولفظ فويفيكن للدلالة على الفينيقيين .. وفي العبرية تعني كلمة كنعان بلاد الأرجوان ، وجذر (ك ن ع) تعني انخفض ، ما يشير إلى أنهم سكان البلاد المنخفضة وهي القريبة من نهر الأردن ؛ ولا يختلف في العربية عن المعنى العبري ، فلفظ (خنع ، قنع ، وكنع) تعني الهبوط والانخفاض والتواضع ؛ ويرى بعض الباحثين أن أصل كلمة كنعان مشتق من "كناجي Kanaggi" التي تعني في اللغة الحورية أي الصبغة الأرجوانية أو القرمزية التي اشتهر الكنعانيون بصناعتها ؛ أما الإغريق فيبدو أنهم حوروا الكلمة المصرية " فنخو" التي تحولت إلى " فينيكس" للدلالة على الفينيقيين وهي تعني اللون الأحمر ؛ واستعمل الرومان كلمة بوني Poeni للدلالة على الفينيقيين الغربيين " القرطاجيين" في أفريقيا ، وهي كلمة تعني اللون الأحمر الأرجواني أيضاً .. (انظر : محمد ضيف : محاضرات في حضارات الأمم السامية ، دار الكتب الجامعية ، ٢٠٠٧، ص ٥٥ وما بعدها .. كذلك أنظر .. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٧) غير أنّ بعض الكتابات التاريخيّة تُشير إلى أنّ كلمة " فيوينكس " تعني الدم الأحمر ، وقد أطلقت لأوّل مرة على التجار الفينيقيين لوجوههم البرونزية من تأثير لفح الشمس. (انظر : محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢). وفينيق تعني الطائر الأسطوري الذي يطير من بين الرماد ، وقد رمز إليه المصريون القدماء بطائر اللقلق ، وربما تعني كلمة = =فينيق النخلة ، ومن المرجح أن الكنعانيين دعوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول (كنعان) وهي عادة العرب في تسمية قبائلهم .. أنظر .. محمد ضيف : المرجع السابق ، ص٥٧.

Scanned with CamScanner

وتعني الصبغة القرمزية لشهرة المنطقة بهذه الصبغة عندما اتصل الحريون بتلك البلاد في القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق.م ، وفي اللغة البابلية كتبوا اسمها كنغي ، ومنذ القرن الثاني عشر ق.م ، أصبحت كلمة كنعان مرادف لكلمة فينيقي ، أما أصل اسم فينيقيا Phoinix فهي مشتقة على الأرجح من كلمة يونانية تعني القرمز أو اللون الأرجواني ، وذلك لشهرة هذا الساحل بصناعة الأصباغ القرمزية والملابس الأرجوانية اللون[1] ، فيما تشير الكتابات التاريخية إلى أن كلمة فيوينكس تعني الدم الأحمر ، وقد أطلقت لأول مرة على التجار الفينيقيين لوجوههم البرونزية من تأثير لفح الشمس[2] وعلى كل حال فإن المقصود بالفينيقيين هم سكان المناطق المنخفضة ، أو الأقوام الحمر[3] ، وأن اختلفت مدلولات التسمية ، في حين أنَّ كثرة اشتغالهم بالتجارة هي الحقيقة الواضحة، معتمدين في ذلك على علاقاتهم وصلاتهم التجارية بالشعوب الأُخرى عن طريق البحر[4] ، ولعل خروجهم من الجزيرة العربية جاء تحت وطأة الفقر ونتيجة للانقلابات المناخية ، أو أنهم وكما يؤكد المؤرخ جوستين نزحوا إثر الزلازل التي أفزعتهم ، ومن ثمَّ استقروا على ضفاف البحيرة الآشورية ، وبعد ذلك على شواطئ البحر المتوسط ، حيث بنوا مدينة صيدا التي تعني سمك[5] باللغة الفينيقية ، وأخذوا في الانتشار في فينيقيا واحتكوا بالعناصر المختلفة في تلك المناطق مما نتج عنه جيل جديد جمع بين صفات الفينيقيين والبحر إيجيين[6] ، وتأثروا بحضارات غربي آسيا القديمة ، فيما اشتهروا بصناعة الأرجوان الذي يستخرجونه من محار الميوركس Murix الذي يبدو أنَّه يتوفر بشكل كبير على الساحل الشرقي للبحر المتوسط (سوريا ولبنان) ؛ وكانت أشهر مدنهم هي مدينة صور التي تمتعت بنشاط بحاري لم يشهده غيرها[7]، فانطلقوا منها ومن صيدا عبر البحر المتوسط ، وعقدوا صلات واسعة بأوطان عديدة ، حتى قيل أنَّ

---

1. أحمد فخري : دراسات في تاريخ القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٣ ،ص١٠٧
2. محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص١٢٢
3. عبد اللطيف محمد البرغوثي :المرجع السابق ، ص ٢٩٩
4. أحمد فخري :المرجع السابق ، ص ١٠٨
5. محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص ٢٣
6. عبد اللطيف البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣٠٠
7. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٨

Scanned with CamScanner

سفنهم دارت حول أفريقيا ، ووصلت انجلترا وإيرلندا ، وتغلغلوا في صحراء أفريقيا عندما سيطروا على الحوض الغربي من البحر المتوسط[1] لم يكن وجود الفينيقيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط مع نهاية القرن الثاني عشر ق .م ، جاء بموجب الصدفة ، ولم يأت تأسيس مستوطناتهم ومراكزهم على الساحل المغربي على المحيط الأطلسي ، عقب وصولهم مباشرة ، فلا بُدَّ أنَّهُم خبروا الأماكن المناسبة لإقامة مراكزهم التجارية ، وقاموا بدراسة أهميتها تجاريًّا واقتصاديًّا ، وذلك أنهم اتَّسموا بالطابع التجاري منذُ بداية انطلاقهم ، إذ أنَّ إقامتهم بدأت على مراحل ، فمن مرافئ أو محميات إلى مراكز إلى أن أصبحت مستوطناتٍ، التي تطوَّرت إلى مدن كبيرة ذات أهمية تجارية واقتصادية ، وبعد ذلك مكانة سياسية . والتي كانت في البداية الأمر تسمَّى بالأسكلة ، وهي عبارة عن محطة بحرية يأوي إليها الفينيقيون بسفنهم من حين لآخر ، وتُعَدُّ أيضًا أسواقًا ومراكزَ تموين ، وُزِّعت توزيعًا متقنًا، وسرعان ما أضحت مراكز تجارة تكتظ بالنشاط والحركة التجارية تميزَّت بمرونةِ الفينيقيين التي عرفت عنهم . ترافقهم المطامع الاقتصادية والبحث عن موارد مالية لفتح أسواق جديدة أمام تجارتهم ومنتجاتهم الصناعية[2] ، وكانت هذه المحطات تشكل ملجأً لهم تزوِّد سفنهم بما تحتاجه ، وتقوم فيها عمليات إصلاحها كلما دعت الحاجة [3] .

مجيء الفينيقيين إلى ليبيا

بدأت السفن الفينيقية ترتاد الشواطئ الليبية منذ الألف الأولى ق.م[4]، ويبدو أنَّ الفينيقيين قد عرفوا الأهميَّة الاقتصادية للساحل الليبي ، فاختاروا مواقع مهمة عليه ، وأنشأوا المراكز التي اكتسبت شهرة عظيمة وأهمية كبرى في مجال التبادل التجاري ، وتُوِّج هذا التبادل بسلسلة من حلقات الاتصال والاحتكاك بين السكان على شواطئ البحر المتوسط ، ومن ثَمَّ فإنّ الفينيقيين فتحوا أعينهم على الساحل الليبي كمنفذ لسلع أفريقيا الداخلية ، وهذا ما أكده بلينيوس Plinius[5]، الذي ذكر أنَّ تأسيس المدن

---

١. عبد اللطيف البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣٠٤

٢ . أحمد محمد انديشة : المرجع السابق ، ص ٣٤

. محمود الصديق أبو حامد :" المرجع السابق ، ص ص١١٩- ١٢٠، 3

٤ . أحمد محمد انديشة : المرجع السابق ، ص ٣٣

5. Pliny , Nat. Hist., V, 19-76.

Scanned with CamScanner

الثلاث لبكى –أويات– صبراتة ، جاء نتيجة للموانئ الصالحة لرسو السفن، ولوجود الطرق التي تربطها بجنوب الإقليم.

ومن الواضح أنَّهم استثمروا هذه الموانئ لوقوعها في طريق رحلاتهم المتجهة نحو إسبانيا مصدر المعادن[1]، كما أنَّ أقصر طريق بين البحر وبلاد الجرامنتس– الذين اشتهروا بتجارة الحجر القرطاجي – هي المنطقة الواقعة بين خليجي سرت ؛ خليج السدرة وخليج قابس الحاليين ، طبقًا لما أشار إليه هيرودوتس[2]، حيث تُشير بعض المصادر – مثل سترابون[3]– إلى وجود علائق تجاريَّة بين الفينيقيين والجرامنتس ، ولا يُستبعد أنَّ هذا الدور التجاري الذي اتبعه الجرامنتس قد نبَّه الفينيقيين وشجَّعهم على المجيء إلى الساحل الشمالي الغربي لليبيا، ولاسيَّما أنَّهم احترفوا التجارة بمهارة ملحوظة.

وبالمقابل فإنَّ الجرامنتس كانوا تجارًا من طراز فريد ، وعلى علاقة طيبة مع مدن الساحل الليبي[4] .

ولعلَّ أهميَّة الساحل الليبي تراءت للفينيقيين بعد أن وضعوا أقدامهم على جزيرة صقلية ، فكان لابُدَّ لهم من أن يفكروا في الساحل المقابل ، ولهذا بدؤوا بمبادلة أهله التجارة حوالى القرن التاسع ق.م ، وعلى مدى مئتي سنة تمكن الفينيقيون من إنشاء مراكز عدَّة بامتداد الساحل الليبي ، حوت أقليَّة من التجار الفينيقيين بين سكانها الليبيِّين[5] .

ولهذا فوجود الفينيقيين المبكِّر على الساحل الشمالي لليبيا ، خاصَّة غربي خليج سرت، وضع حدًّا لمغامرات الإغريق بالمجيء إلى هذه المنطقة والاستقرار بها.

---

[1]. محمد مصطفى فارس : " الحياة الثقافية في ليبيا القديمة " ، مجلة البحوث التاريخيَّة ، السنة السادسة ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، ص ٤١٣.

[2].Herodotus, IV., 183

[3].Strabo, Geog., XVII, 2

[4]. تشارلز دانيلز : الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء ، تعريب : أحمد اليازورى ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ط٢ ، ١٩٩١ ، ص ٧ وما بعدها.

. محمد سليمان أيوب : جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، دار المصراتي ، طرابلس، ط١، ١٩٧٥.ص١٥٢

Scanned with CamScanner

وقد شملت المراكز التجاريَّة معظم سواحل ليبيا الشمالية الغربية ، بدءًا من مذابح فيلاني Arae Philaenorum عند الحدود الشرقية لخليج سرت الكبير، حتى شمال غرب ليبيا القارة ، وقد كانت المدن الثلاث ضمن هذه المراكز[١] ، حيث يُذكر أنَّ تأسيس المراكز الفينيقية في ليبيا، كان في حوالى القرن الثامن ق.م[٢] ، وأنَّ العصر الفينيقي في تلك المناطق كان عصرًا للاستكشاف الاقتصادي، أكثر منه عصرًا سياسيًا ، إذ من الواضح أنَّ تأسيس المستوطنات في ليبيا ، كان ينطلق بإشراف ومساعدة قرطاجة (المدينة).[٣]

فيما يعدُّ البعض الآخر تأسيس تلك المحطات ، بداية العصر الفينيقي في تاريخ القارة ، فقد اتبع الفينيقيون أثناء رحلاتهم التجاريَّة للمتاجرة مع بلدان الحوض الغربي من البحر المتوسط نظام المساحلة ، ولجؤوا إلى نقاط مختلفة على الساحل الليبي للاحتماء من العواصف ، أو طلبًا للمؤن من ماءٍ وغذاءٍ ، أومن أجل التجارة وفقًا لنظام المقايضة ، على نحو ما أوضحه هيرودوتس ،[٤] أو من أجل الاستراحة من عناء السفر ، كما أنَّ سفنهم ذات المجاديف كانت صغيرة ، فكانوا يخافون من التعرُّض لمخاطر الأنواء بعيدًا عن اليابسة ، ولعلَّ هذا ما يُفسِّر تفضيلهم الإبحار قرب السواحل ، ويُضاف إلى ذلك أنَّ الاستيطان الفينيقي لم يكن ممكنًا إلاَّ في الجهات الضعيفة نسبيًا، ولم يتسنَّ لهم الاستقرار والاستعمار في المناطق التي تُوجد بها حكومات، أو بها قبائل قوية ، تستطيع ردَّ الاعتداء، وإجلاء القادمين الجدد.

ومن المرجح أنَّ حركة الهجرة والانتقال إلى المراكز في شمال ليبيا ، قد جاءت بصورة تدريجيَّة ، نتيجة للعوامل الاقتصادية والسياسيَّة والاجتماعيَّة ، ما يُعلِّل انضواء المستعمرات تحت لواء قرطاجة بسهولة ويُسر ، وربَّما حدث ذلك بناءً على طلب المستعمرات حماية قرطاجة لها ، اتقاءً لخطر الإغريق في حوض البحر المتوسط ،

---

1. Silius Italicus, Punica, III, 256 – 260

٢. محمد بيومي مهران : المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص ١٨٠

3. Divit. A.,La date di Fondezion di leptisedi Sabratha Solle dell indigene archeologicae l'eprachia Cartaginese d'Africa Hommagesa M.Renard III (Coll – Latomus 103) 1969 – pp. 196- 202.

4. Herodotus, IV, 196.

Scanned with CamScanner

فقد كانوا ينافسون الفينيقيين ويهدِّدون مصالحهم ، فكأنما جاء هذا الطلب، ليدعم الفينيقيُّون وجودَهم في المنطقة الواقعة بين خليجي سرت ، فيؤكِّدون الأهمية التجارية للساحل الليبي ، وخصوبة أراضي المنطقة ، بإحياء المدن والنهوض بها. ويرى البعض أنَّ نشاط الفينيقيين التجاري ، قد امتدَّ إلى الجهات الشرقية ، وأنَّ الوجود الفينيقي وصل إلى مدينة برقة = المرج ، لارتباط اسمها وشيوعه لدى الفينيقيين ،[1] ولكن يظهر ضعف هذا الرأي أمام عدم وجود أي دليل مادي يؤكد إنشاء هذه المدينة، فيما تظلُّ الحدودُ مثبتةً عند مذابح الأخوين فيلاني ، كخط بين الإقليم القرطاجي ، وإقليم برقة الإغريقي.

لقد كان الفينيقيُّون موفَّقين إلى حدٍّ كبير في اختيارهم لمواقع المدن الثلاث، لوجود موانئ صالحة لرسو سفنهم ، وتوفُّر الطرق التي تربطها بجنوب الإقليم ، ولهذا نمت المستوطنات الفينيقية بسرعة حتى بلغت قمة الازدهار ، ما جعلها تستمر في دفع المساعدات الرمزية لقرطاجة المدينة الأم ، فقد ازداد حجم التبادل التجاري غرب البحر المتوسط ، الأمر الذي شكَّل نقطة جذب للفينيقيين الراغبين في الحصول على المواد الخام والربح التجاري ، فأقاموا في المراكز مجموعة من الوكلاء التجاريِّين ، وكانت إقامتهم شبه دائمة ، ما زاد من تكاثر أعدادهم[2] بشكل لافت للنظر ، ومن ثَمَّ فإن معالم الحضارة الفينيقيَّة انتقلت إلى الساحل الليبي ، حيث عبدَ الليبيُّون الآلهة الفينيقية ، وتثقفوا بالعلوم والمعارف القرطاجيَّة ، وحاكوا الفينيقيين في العمارة والزراعة وأساليب الحياة[3] ، على الرغم من أن الفينيقيين اتجهوا في أول الأمر إلى هذا الجزء لغرض التجارة ، وليس بهدف الاستيطان والاستعمار والاستقرار ، الذي اتضحت لهم ضرورته فيما بعد.

ومن المُحتمل أنَّ لبكى= لبدة الكبرى Lepcis Magna هي أقدم المدن التي أُنشئت على الساحل الليبي ، حيث تقع عند مصب وادي لبدة إلى الشرق من مدينة الخُمس ، وقد تطرَّق سالوستوس[4] إلى ظروف تأسيسها ، فذكر أنَّ بعض الجماعات

1. Shimon Apple Baum : Jenos and Greeks in Ancient Hieden , Brill (1979) P. 47.

1. فرانسوا ديكريه : قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، ترجمة : عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط٧، ١٩٩٧ ، ص ٤٢
محمد سليمان أيوب : المرجع السابق ، ص ١٣٧

4. Sallustus, XIX, 10

Scanned with CamScanner

من الفينيقيين هاجرت إلى الجزء الشمالي من ليبيا ، بسبب الازدحام السكاني في الساحل الفينيقي ، لكنني أرى أنَّ الدافع الأساسي في هذا التوسُّع هو البحث عن مكاسب اقتصاديَّة ، وليس جرَّاء ضيق الساحل الفينيقي ، ولعلَّ الدليل على ذلك بناء مدن كثيرة على الساحل الأفريقي مثل هيبو Hippo ، و سوسة Hadrumet ، ومراكز أخر ، يمكن أن تستوعب الأزمة السكانيَّة إن كان الهدف الأول هو استيعاب المواطنين الفينيقيِّين ، وعلى الرغم من أنَّ نص سالوستوس لا يُحدِّد تاريخًا معينًا لإنشاء هذه المدن ، حتى نتمكَّن من دراسة الفترة الزمنية للتأسيس ، وإذا ما كان الساحل الفينيقي يعاني من أزمة تدافع أو ضيق سكاني ، إلاَّ أنَّ سالوستوس يُرجع إنشاء لبكى = لبدة إلى مهاجرين جاؤوا من صيدا عقب اضطرابات سياسيَّة حدثت بوطنهم الأصلي ، فيما يظل الهدف التجاري هو الأهم في تأسيس هذه المدينة ،

ويرجح أنّ لبدة قد تأسست بعد عام ٥١٤ ق.م ، ذلك أنَّه لو كانت لبكى= لبدة موجودة قبل هذا التاريخ ، لأسهمت مع القرطاجيين الذين تحالفوا مع قبيلة المكاي ؛ أهالي تلك المنطقة ، التي حاول دورئيوس ابن أخ ملك إسبرطة ، إقامة مستعمرة إغريقية فيها على نهر كينبوس Cinypus عند مصب وادي كعام بالقرب من لبدة ، حيث تمكن القرطاجيون وقبيلة المكاي من طرده بعد ثلاث سنوات من إنشائها ، وذلك حوالى عام ٥١٧ ق.م [١]، ما يجعل الدارس يقف أمام أحد أمرين ، أحدهما إما أنَّ لبدة كانت تُعاني ضعفًا لدرجة عجزها عن المشاركة في رد العدوان ، أو أنها تأسَّست بعد هذا التاريخ ، لاتخاذها قاعدةً تنطلق منها حملات رد المعتدين ، وهذا يؤيده اختيار موقعها غير المناسب على الأقل في التجارة ، خلافًا للمدن الأخرى التي أقيمت على خليج سرت ، الأمر الذي يؤكد صلاحية موقعها للدفاع عن بقية المستعمرات الفينيقية الواقعة على الساحل الليبي[٢]. وفي حالة عدم توفر المكتشفات الأثرية ، يظل من الصعب تحديد الزمن الذي تأسست فيه لبدة ، على الرغم من اكتشاف آثار قديمة تحت المسرح الروماني ترجع إلى القرن السادس ق.م ، وهي

[١] Herodotus, V, 326

[٢] . احمد محمد اديشة: المرجع السابق ، ص٣٣ وما بعدها

Scanned with CamScanner

عبارة عن قطع من الفخار ، تنتمي إلى الطراز الكورنثي المجلوب من مدينة كورنثا إحدى المدن الإغريقية ، وهو من النوع الجيد ذي اللون الأسود اللامع[١].

أمَّا المدينة الثانية التي أسَّسها الفينيقيون على الساحل الليبي ، فهي أويات Oeat، التي يُعتقد أنَّ اسمها جاء أصلاً من اسم قبيلة تدعى أيت Ait ، حيث وُجدت مثل هذه الصيغة على النقود البونية بشكل أويات Uiat، كما يُذكر أنَّها تُدعى بلدة Makaria مكاريا ، أي ترجع في أصلها إلى الإله البونيقي ملكارت Melqart ، وقد أنشأها مهاجرون فينيقيون من صقلية بالاشتراك مع بعض الليبيِّين كما يشير سيليوس إيتاليكوس[٢]، الذي ربَّما يقصد أنَّ فينيقيين استقرُّوا في صقلية ، ثم انتقلوا إلى الشمال الليبي ليؤسسوا مدينة أويات ، ما يُرجح أن تاريخ تأسيسها كان ما بين القرنين السابع والسادس ق.م. [٣]

وقد أقيمت أُويات عند مصب وادي المجينين[٤] ، فأصبحت ميناءً بحريًا يربط بين ، لبدة، وصبراتة.

كذلك أسَّس الصوريون مدينة صبراتة [٥] على رأس الطريق التجارية المهمة، التي كانت تحمل سلع أواسط أفريقيا إلى صبراتة مارة بغدامس[٦]، ومن المحتمل أنَّ صبراتة تعني سوق الحبوب ، إذْ كان من المعتقد أنَّ القمح يأتي من بلاد الإغريق مقابل شراء العاج والذهب وريش النعام ، الذي كان يُجلب من أواسط أفريقيا ، إلاّ أنّ هناك رواية أُخرى تذكر أنَّ القمح كان ينتج بمنطقة صبراتة ويُصدر من مينائها[٧].

ولم تُشر المصادر القديمة إلى تاريخ تأسيس مدينة صبراتة قبل أواخر القرن الرابع ق.م ، ولكن رُبَّما أُنشئت في القرن السادس أو قبله بقليل ، بالنظر إلى المكتشفات الأثريَّة المتمثِّلة في مصاطب رملية كانت أساسات لأكواخ مؤقتة ، و

١. محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، وكذلك انظر : عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣٠٥

2.Silius Italicus, Punica I, Book III, 257

٣. فيصل على أسعد الجربي : الفينيقيون في ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، بنغازي ، ط١، ١٤٢٥ ، ص ٦٨

٤. طه باقر : المرجع السابق ، ص ١١٤

5.Silius Italieus , III, 256

٦. عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣١١

٧. محمود الصديق أبو حامد : المرجع السابق ، ص ١١٧

Scanned with CamScanner

وجدت في تلك المصاطب جرار فينيقية وقدور إغريقية يعود عهدها إلى القرنين السادس والخامس ق.م [1].

كما وُجدت مراكز أخرى صغيرة لا تقل أهميتها عن المدن الثلاث ، كانت تربط بينها مثل أساريا ؛ وهي قرية قرب الماية حاليًا ، وفاكس ؛ وهي واحة تقع بين الزاوية والماية ، وخراكس Charax، سلطان ، وقد لعبت دورًا بارزًا في العلائق الاقتصادية بين إقليم طرابلس الفينيقي وبين إقليم كيرينايكا الإغريقي ، فقد شهدت حركة تهريب نشطة للسلفيوم الكرينايكي مقابل النبيذ الطرابلسي[2]، وهي تبعد عن نصب الأخوين فيلاني بحوالي ٣٠٠ كم.

أمَّا ماكومادس Macomadeas فتعني بالفينيقية المدينة الجديدة ، وتقع عند قصر الزعفران بالقرب من سرت الحالية ، وربَّما جاءت تسميتها بالمدينة الجديدة لأنها أُسِّست على أنقاض مدينة قديمة ، أو إحياءً لمدينة في بلاد الفينيقيِّين الأم ، على غرار تأسيس وتسمية قرطاجة ، التي تعني القرية الحديثة ، أو أنَّها جاءت بديلاً لمدينة اندثرت لسبب ما.

كذلك حصن يوفرانتا ؛ سرت الحالية ، التي كانت تمثِّل منطقة الحدود ، عندما أصبحت كيرينايكا تحت حكم البطالمة ، بين إقليم برقة الإغريقي وإقليم طرابلس الفينيقي.[3]

أيضًا مذبح الأخوين فيلاني الذي قام بدور سياسي واقتصادي في العصر الفينيقي، إذ إنَّ تصدير الكبريت من مستودعات موقتا ؛ وهي منطقة تقع بين خليج السدرة ومذبح الأخوين فيلاني وبوشيفة ، أعطى أهمية لمرفأ مذبح الأخوين فيلاني[4].

وأخيرًا زوكيس Zuchis ، التي تقع على بحيرة واسعة ، ربَّما كانت بحيرة البيبان، التي كانت تمثِّل الحد الفاصل بين ليبيا وتونس قبل عام ١٩١١م[5] واشتهرت بصناعة

---

[1]. محمد على عيسى : مدينة صبراتة ، طباعة انترنت ، نشر الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخيّة ، ١٩٨٧، ص١٢

[2]. طه باقر : لبدة الكبرى ، نشر الإدارة العامة للآثار ، ليبيا ، د.ت ، ص ١٤.

[3]. فيصل علي أسعد الجربي : المرجع السابق ، ص ٧٧

[4]. أحمد محمد انديشة : المرجع السابق ، ص ٣٦.

[5]. محمد على عيسى : المرجع السابق ، ص ٧٢.

Scanned with CamScanner

بصناعة حفظ الأسماك، بالإضافة إلى الصبغة الأرجوانية من أصداف حيوانات البحر.[١]

ولم يكن الهدف – على ما يبدو– من إنشاء هذه المحطات والمدن تزويد السفن والبحارة الفينيقيين بالماء والمؤن ، والاتصال بأهالي البلاد المحلّيين لتأمين الأسواق التجاريّة وتسويق البضائع فحسب ، بل كان الهدفَ كما يتضح فيما بعد ، هو تزعُّم قرطاجة للمدن الفينيقية سياسيًّا ، والسيطرة على التجارة بين المناطق الداخلية في ليبيا وبلاد البحر المتوسط ، ولمراقبة سواحل المتوسط ، ولعلّ إقامة الأبراج وانتشار المراكب لمراقبة جميع السفن الأجنبية التي كانت تحاول الإتجار مع أواسط القارة تحت نظر قرطاجة ، دليل واضح على طموح الفينيقيين في السيطرة التامّة على البحر المتوسط.[٢]

وخلاصة القول إنَّ اهتمام القرطاجيِّين انصبَّ على الجزء الواقع إلى الشرق من قرطاجة حتى مذبح الأخوين فيلاني ، وقد يكون ذلك راجعًا إلى طبيعة الساحل الغربي المعرض للرياح الشمالية ، والخالي من الخلجان الصالحة لرسو السفن ، بالإضافة إلى أنَّه كان في أغلبه صخريًّا.[٣]

كما أنَّ العامل الاقتصادي هو الذي أغرى الفينيقيين بالتوسُّع التجاري على ساحل البحر المتوسِّط ، وكذلك قرب مراكز شرق البحر المتوسط من أوروبا السوق الرائجة لتجارتهم ، ولهذا نشأت علائق تجارية طيبة في بادئ الأمر مع السكان الليبيِّين الذين كانوا يعيشون قرب الساحل ، مستغلين في ذلك بساطة الساحل وتمتعه بموقع جغرافي متميِّز ، وعلى الرغم من خلوِّهِ منَ الخلجان الكثيرة ، إلاَّ أنَّ سهولة الاتصال بين الساحل والمناطق الداخلية كانت مُتيسِّرة ، وقد كانت مدن ومراكز هذا الساحل تقع في طريق رحلاتهم إلى إسبانيا مصدر المعادن تلك الفترة.

وما يؤكد أهدافهم الاقتصادية أنَّ أهل المدن الثلاث تُركوا وشأنهم ، فكانت لهم قوانينهم الخاصة ، وتولَّوا الوظائف الرئيسية بأنفسهم ، فيما انصرف الفينيقيُّون للتجارة انصرافًا تامًّا.

---

١. حسن سليمان محمود : المرجع السابق ، ص ٧٢

٢. أحمد عبد الحليم دراز : مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق. م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص١٤٧

٣. محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص ١٠٢

Scanned with CamScanner

دوافع الوجود الفينيقي في ليبيا

عمَ الانتشار الفينيقي (القرطاجي) خلال النصف الثاني من الإلف الثانية ق.م معظم مناطق غرب البحر المتوسط ، حتى كاد أن يكون البحر المتوسط في جزئه الغربي تحت السيطرة القرطاجيَّة إلى نهاية منتصف القرن الثالث ق. م. وحيال هذا المد والانتشار لابُدَّ من أسباب دفعت بالفينيقيِّين للوصول إلى شمال أفريقيا بصفة عامة وإلى ليبيا بصفة خاصَّة . وعلى ذلك رأينا دراسة الظروف والدوافع على النحو الآتي:

أوَّلاً – الدوافع السياسية :

يبدو أن موطن الفينيقيين على الساحل الشرقي للمتوسط كانَ محاطًا بجيران أقوياء ، ومعتدين ، إذ تشير الدلائل التاريخيةَ إلى سيطرة الأشوريين على بلادهم ما دفعهم إلى الهجرة البحريةَ ، حيث كانت الإمبراطورية الآشورية سببًا في تعرُّض الموانئ الفينيقية للغزوات والحروب[1]، فضلاً عن سيطرة شعوب أخرى كالآراميين والأموريين والعبرانيين والفلسطينيين على المناطق الداخلية لذلك الساحل[2]. كذلك محاولات دولة الكلدانيين في فرض سيطرتها السياسية[3].

كما أنَّ الاضطرابات السياسيةَ التي سادت شرق البحر المتوسط سمحت للفينيقيين باستغلال ضعف البحر الإغريقية التي تداعت عقب غزو شعوب البحر بداية القرن الثاني عشر ق.م[4] سيَما أنَ منطقة الشرق الأدنى لم تنعم بالاستقرار نتيجة للصرعات الدائرة ، خاصَّةً بعد اندلاع التنافس بين الدولة الفرعونية في مصر وممالك الشرق الأدنى حول الاستيلاء على منطقة بلاد الشام في عهد الدولة الحيثية، ما أدَّى إلى غياب الأمن عن العمليات التجارية [5] ، التي كانت مصدرًا مهمًّا للفينيقيين

---

[1]. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ،١١١

[2]. محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥٣

[3]. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٨ – ١١١

[4]. عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣٠٥

[5]. رشيد الناضوري : تاريخ المغرب الكبير ، العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ،ص ١٥٦ ، ١٥٧

Scanned with CamScanner

فاتجهوا نحو غرب المتوسط الذي يخلو من القوى المتنافسة والمتميز بالأمن والهدوء إلى حدٍ كبير ، وذلك لممارسة حرفة التجارة وجلب المواد اللازمة لصناعاتهم .

ولعل انهيار الحضارة المينوية وتدهورها[1] كان دافعًا مهمًّا شجع الفينيقيين على الانطلاق نحو تأسيس مستوطنات غرب البحر المتوسط ؛ إذ شهد القرن الثاني عشر ق .م تدفق شعوب البحر المتوسط على الساحل الفينيقي الأمر الذي أدَّى إلى تدمير الموكينيين في جزيرة كريت[2] . ما أتاح للفينيقيين التحرُّك باتجاه الغرب والقيام بدور الوسيط التجاري بين الغرب والشرق ، والبحث عن أماكن استقرار جديدة توفر لهم الأمن والأمان ، لاستعاضة ما فقدوا [3] وربما تكون السواحل الليبية أهم المناطق المستهدفة بالاستكشاف ، كما أن الحفاظ على مناطق النفوذ حتم على القرطاجيين البحث عن موانئ جديدة لتأمين تجارتهم مثلما حدث مع سرقوسة حيث استمر الصراع عنيفًا بينها وبين القرطاجيين ، ووقعت معارك عنيفة بين الطرفين أشهرها معركة موتيا سنة ٣٩٨ ق.م ، إذ تمكنت قرطاجة من إنزال أفدح الخسائر في صفوف قوات سرقوسة البحرية والبرية [4] . وقد خسرت سرقوسة في هذه المعركة أكثر من مائة سفينة وحوالى عشرين ألف جندي[5] ، وما يؤكد حرص الفينيقيين على حماية مستعمراتهم في جنوبي البحر المتوسط أي تلك التي تقع على الساحل الشمالي لأفريقيا ما ذكره ثيوكديديس[6]، الذي أشار في كتابه السادس أنهَ "عندما وصل الإغريق في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م وبأعداد مأهولة ، لجأ الفينيقيون إلى غرب جزيرة صقلية التي لا تبعد كثيرًا عن مدينتهم قرطاجة " ومن ثمَّ فإنه لا بدَّ لهم من استحداث مستعمرات جديدة تكون كما لو أنَّها عمقٌ استراتيجيٌ، ولعلَّ لجوءَهم إلى غرب جزيرة صقلية هي محاولة لتنفيذ مخططهم الذي ينطوي على حماية مستوطناتهم والبحث عن أماكن جديدة يحافظون بها على وجودهم في غرب البحر المتوسط.

---

1. وارمنجتون : العصر القرطاجي ، تاريخ أفريقيا العام ، ج٢ ، حضارات أفريقيا القديمة ، ١٩٨٥، ص ٤٥٤
2. أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهللينية ، ترجمة : رمزي جرجس ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٤، ٤٥
3. محمد سهيل طقوش : موسوعة الحضارات القديمة ، ط بع أدارة النفائس ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص ٣١٦
4. رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٨ .
4. Diodorus of sicily ,Book ,Xiv .59,1-5
6. Thucdided . Book .VI.11.26

Scanned with CamScanner

نخلص من ذلك أنَّ الدافع السياسي كان من أسباب خروج الفينيقيين في الإلف الأولى ق.م إلى غرب البحر المتوسط ووصولهم إلى شمال أفريقيا ، وأنَّ اختيارهم للمواقع المهمة لم يكن عشوائيًا وإنما جاء ليخدم مصالحهم ، ويحفظ مكانتهم السياسية أمام منافسيهم الإغريق حيث اعتبروا ظهورهم وتوسعهم في حوض البحر المتوسط خطرًا يهدِّد مصالحهم الاقتصادية ، ناهيك عن أنَّ الاستيطان الفينيقي لم يكن ممكنًا على الساحل الإفريقي إلاّ في الجهات الضعيفة نسبيًا ، ولم يتسنَّ لهم الاستقرار والاستعمار في المناطق التي توجد بها حكومات ، أوبها قبائل قوية ، تستطيع ردَّ الاعتداء ، وإجلاء القادمين الجدد جاءت بصورة تدريجية نتيجة لعوامل سياسيَّة أهمها طلب المستعمرات حماية قرطاجة لها ، اتقاءً لخطر تغوُّل الإغريق في حوض البحر المتوسط ؛ وهذا ما يُعلِّل انضواء المستعمرات تحت لواء قرطاجة بسهولةٍ ويسرٍ .

ثانيًا – الدوافع الاقتصادية :

كان لموقع وطن الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر المتوسط الأثر البالغ في توجه نشاطهم الاقتصادي[1]، ذلك لأنَّ الرقعة التي يقطنها الفينيقيون كانت ضيقة المساحة ، تخلو منها الأراضي الصالحة للزراعة لكثرة الجبال وعدم وجود السهول الزراعية ، ولهذا فهي لا تلبي حاجتهم من احتياجاتهم الغذائية ، إلى جانب النمو السكاني المضطرد [2] ، وقد ساعدهم في اشتغالهم بالتجارة البحرية وقوع مدنهم على رؤوس داخل البحر ، ما هيأ لهم وجود موانئ طبيعية وأحواض تصلح لبناء السفن ، إلى جانب توفر الأخشاب لصناعة القوارب والسفن، بالإضافة إلى أنَّ الساحل الفينيقي يتحكَّم في الطرق الدولية البرية منها[3] ، والبحرية ، حيث إن الساحل الفينيقي ينفتح على البحر المتوسط ، وهذا جعلهم على صلة تجاريَّة وثيقة بالشعوب الأخرى عن طريق البحر[4]. وقد ساعدهم على ذلك تطور فن الملاحة عندهم ، فاسترشدوا بالنجم القطبي[5] ، وربطه بالملاحة البحرية ، كما أن قرب المسافات بين الجزر التي تكثر في البحر المتوسط شجعهم في الوصول إلى جزيرة صقلية جنوب إيطاليا ومنها

---

[1]. محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص ٣١٦

[2].Diodorus of sicily ,Book ,Xiv .59,1-5

[3]. رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٨

[4]. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٨

[5]. ويل ديورنت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ و ما بعدها

Scanned with CamScanner

كانت الانطلاقة لممارسة التجارة الصافية التي تحدَّثَ عنها هيرودوتس بأنها الدافع الرئيسي لحركتهم نحو الغرب ، يضاف إلى ذلك حاجتهم الملحّة للمعادن كالذهب والقصدير والفضية[1] حيث كانوا الأكثر تأهيلاً لجلب هذه المعادن أكثر من غيرهم ، وقد كانت متوفِّرة في غرب الأراضي الواقعة على شواطئ البحر المتوسط ؛ وحيال حاجتهم للتجارة كمصدر اقتصادي مهم طوروا سفنهم القديمة وبنوا سفنًا ضخمة تفي بالغرض[2] ، وهذا يتطلب إنشاء المراكز التجارية كي يصلوا إلى أرض المعادن ، ويلجؤون إليها لطلب الراحة ، والمكوث بها عندما تكون الظروف المناخية لا توافق الإبحار، ولإصلاح وصيانة مراكبهم[3]، ولم تلبث هذه المراكز أن أصبحت محطات وأماكن لممارسة تبادل وتصريف البضائع مع السكان المحليين ، ثم تطوَّرت حتى أصبحت مستوطنات دائمة ، ولعل ما ساعدهم في الوصول إلى هذا الغرض هو أن وجودهم في بداية الأمر كان من أجل التجارة وليس من أجل فرض السيطرة أو الاستعمار ما أنعكس على علاقتهم بالسكان الأصليِّين ، ويبدو واضحًا أنَّ علاقة الفينيقيِّين مع السكان المحلِّيين وبالأخصِّ على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط كانت علاقة تأجير ووكالات لتصريف تجارتهم وتبادل المنافع بين الطرفين ، ولذلك نجحوا في إنشاء المراكز ؛ ولعل ترحيب السكان المحليين بهم يُعبِّر بقوة عن عدم رفض وجودهم ، فقد جاء الفينيقيون ببضائع يحتاجها السكان المحليين، وأخذوا مقابلها البضائع القادمة من أواسط أفريقيا عبر بلادهم ، ولعلهم أسهموا أيضًا في إنشاء وتطوير المراكز التي أسسها الفينيقيون[4] تحت طائلة تبادل المنافع ،وما يؤكد من أنَّ إنشاء بعض المدن على الساحل الليبي كان الهدف من ورائه تجاريًّا ، أن أسس الفينيقيون القادمون من صور مدينة صبراته[5] الواقعة على رأس الطريق التجارية المهمة التي كانت تحمل سلع أواسط أفريقيا إلى صبراته مارة بغدامس[6]

خلاصة القول إنَّ الهدف من إنشاء محطات على الساحل الليبي ليس تزويد السفن والبحار الفينيقيين بالماء والمؤن والاتصال بأهالي البلاد المحليين لتأمين

---

1. وارمنتجون : المرجع السابق ، ص ٤٥٤
2. بوليركوفيتشسيركين : الحضارة الفينيقية في إسبانيا ، ترجمة : يوسف ابي فاضل ،بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥ .
3. محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٧٢
4. رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ١٦٥
5. طه باقر : أخبار أثرية ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ المحافظات الغربية " ليبيا القديمة " العدد ٣-٤ ، ص ١١٤
6. عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٣١١

Scanned with CamScanner

الأسواق التجارية وتسويق البضائع فقط . ولكن كان الهدف، فيما بعد، تزعُّم قرطاجة للمدن الفينيقية ، والسيطرة على التجارة بين المناطق الداخلية في ليبيا وبلاد البحر المتوسط ، ولمراقبة سواحل المتوسط ، وخير دليل على طموح الفينيقيين في السيطرة التامة على البحر المتوسط إقامة الأبراج وانتشار المراكب لمراقبة جميع السفن الأجنبية التي كانت تبادل الاتجار مع أواسط القارة عن طريق السواحل الليبية[1]، وما يؤكِّد دوافعهم الاقتصادية أن السكَّان المحلِّيِّين تركوا وشأنهم فكانت لهم قوانينهم الخاصة ، وتولوا الوظائف الرئيسة بأنفسهم ، فيما تفرَّغ الفينيقيون للتجارة.

ثالثًا – الدوافع الاجتماعية :

يذكر سالوستوس[2] أنَّ ظروف تأسيس لبكي – لبدة الكبرى Lepcis Magna؛ وهي أقدم المدن التي أنشئت على الساحل الليبي ، يعود إلى بعض الجماعات من الفينيقيِّين هاجرت إلى الجزء الشمالي من ليبيا بسبب الازدحام السكاني في الساحل الفينيقي ؛ غير أنَّ الدافع الأساسي وراء توسُّعهم هو البحث عن مكاسب اقتصادية وليس جرَّاء ضيق الساحل الفينيقي ، وربما يكون الدليل على ذلك هو بناء الفينيقيين لمدن كثيرة على الساحل الإفريقي، يمكن لها أن تستوعب الأزمة السكانية المزعومة؛ كما أن اختيار الأماكن كان يراعى فيه الاستقرار الدائم مع وجود الكثافة السكانية المحلية التي تضمن تصريف بضائعهم ، إذ أن النشاط الذي يعتمد عليه الفينيقيون بالدرجة الأولى هو ممارسة التجارة[3]، وما الصراع الاجتماعي داخل المجتمع الفينيقي الذي نتج عنه تناحر الأحزاب ، كما يذهب بعض المؤرِّخين، أما حدوث الاغتيالات داخل الأسر الحاكمة التي أدت إلى هروب الحزب الارستقراطي[4] فإنها تفتقر إلى الأدلة القوية التي تؤكد خروج الفينيقيين من الساحل الشرقي للبحر المتوسط بدافع العامل الاجتماعي .

ولكن يبدو أن للمد الهند أوروبي الذى حدث أواخر الألف الثانية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط دورًا مهمًّا في توجيه الكثير من السكان للهجرة نحو غرب البحر المتوسط ، ذلك أنَّ شعوب البحر المتوسط تحالفت مع القبائل الليبية القاطنة

---

[1]. أحمد عبد الحليم دراز : المرجع السابق ، ص ١٤٧

[2]. Sallustus ,XIX ,10

[3]. Moscati;s, " colonization in the Mediterranean" op . cit.p47

[4]. بسام العسلي : هانيبال القرطاجي (٢٤٧ .١٨٣ ق . م) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦

Scanned with CamScanner

في الجزء الشرقي من ليبيا والمعروف بالجيل الأخضر وهاجمت وادي النيل من ناحية الغرب[1] وربما هذا الزحف دفع بالفينيقيين بالتوجُّه نحو الغرب الليبي وعدم تمكُّنهم من الاستقرار في شرقه رغم عوامل القرب من الموطن الأصلي وتشابه الظروف الجغرافية والمناخية مع بلادهم[2]. وأن المنطقة مازالت لم يرتدْها الإغريق بعد .

فيما تظل نسبة ارتفاع السكان في الساحل الفينيقي الشرقي يفوق إمكانات الاستيعاب في المدن الفينيقية الساحلية ، بالإضافة إلى الطبقية غير العادلة وسيطرة الأغنياء على مقدِّرات البلاد[3] ، دوافع اجتماعية نحو الهجرة والبحث عن أماكن استقرار جديدة .

كما أنَّ الفراغ الاجتماعي السائد في الجزء الغربي من البحر المتوسط المتمثل في حالة التخلف والضعف في عدم وجود اتحاد قبلي يمنع أو يصد الغزاة ، جاء متناسبًا مع استعداد الفينيقيين لتأسيس علاقات سلمية في بداية الأمر كي يتوفر لهم المجال لتنفيذ أغراضهم التجارية ، ذلك أنَّ الاستيطان الفينيقي لم يكن ممكنًا إلاَّ في الجهات الضعيفة نسبيًّا ولم يتسنَّ لهم الاستقرار والاستعمار في المناطق التي توجد بها قبائل قوية تستطيع ردَّ الاعتداء وإجلاء القادمين الجدد . ولهذا فضَّل الأهالي أن يشتروا الهدوء والعيش في أمن مقابل أن تكون تجارة الفينيقيين رائجة وتحقق أغراضها الاقتصادية ، في الوقت الذى يفتقد فيه سكان ليبيا إلى نظام اجتماعي ضمن المدينة الواحدة ، علاوة على أن نظام المقايضة الذي وصفه هيرودوتس بالتجارة الصامتة[4] منح الثقة للسكان المحليين في الفينيقيين ما ساعد على قبولهم والتعايش معهم ، ويبدو واضحًا أنّ أسلوب الفينيقيين التجاري كان يمتاز بالأمانة والصدق ما أتاح لهم الاستقرار وتأسيس المستوطنات على الساحل الليبي .

---

1. طه باقر : مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٧٣
2. مفتاح محمد سعد البركي : الصراع القرطاجي الاغريقي ، مجلس الثقافة العام ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٤١
3. محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص ١٨ ، ٥٠، ٥١
4. أشار هيرودوتس في حديثه عن التجارة الفينيقية، أنه عندما ما كان يأتي التجار الفينيقيون إلى السواحل الليبية ، يفرغون بضائعهم على الساحل ، ويعودون إلى مراكبهم و يشعلون الدخان ، فيأتي السكان المحليون إلى الشاطئ ويضعون الذهب إلى جانب البضاعة فيأتي القرطاجيون ، فإذا وجدوا أن الذهب يساوي قيمة البضاعة أخذوه وانصرفوا ، ، وإذا وجدوه غير مساوٍ له عادوا وزاد السكان المحليون الذهب حتى يرضى الطرفان ولا يظلم أحد منهما الآخر .. أنظر هيرودوتس ، الكتاب الرابع " الكتاب السكيتي" ، ترجمة : محمد المبروك الذويب ، المصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٣.

Scanned with CamScanner

The motives of the Phoenician presence in Libya

Centered concerns historical researchers on the study of the ancient Libyan history especially with regard to the vulnerability of this region and its influence in the ancient nations, without paying attention to some points that are still shrouded in mystery, remains vague and need to be addressed in research and thinking and comparison, including: Libyans and the presence of the Phoenician and Greek in the north Africa.

Is the Phoenicians look to indigenous people in North Africa as their compatriots? Or look at them as a means of promoting the means for their business and make up a market of markets scattered on the shores of the Mediterranean? Then how was the form of relationship with them? Was hostile or friendly? And the reasons for their presence in North Africa nearly eight centuries?

Scanned with CamScanner